



تقدير موقف

ماذا يعني سقوط صنعاء بيد الحوثيين؟

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي | سبتمبر 2014

ماذا يعني سقوط صنعاء بيد الحوثيين؟

سلسلة: تقدير موقف

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي | سبتمبر 2014

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2014

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع رقم: 826 - منطقة 66

الدفنة

ص.ب: 10277

الدوحة، قطر

هاتف: +974 44199777 | فاكس: +974 44831651

www.dohainstitute.org

المحتويات

- 1 مقدمة
- 1 انتزاع صنعا ء أم شروط اتفاق أفضل؟
- 2 لماذا سقطت صنعا ء؟ وكيف؟
- 3 بذور فشل الاتفاق كامنة فيه

مقدمة

بعد مسار طويل من الصراع بين الدولة اليمنية ومسلّحي الحركة الحوثية، استفاقت صنعاء يوم 21 أيلول / سبتمبر الجاري على واقع سياسي وعسكري جديد بعد أن تمكّنت جماعة عبد الملك الحوثي المعروفة باسم "أنصار الله" من السيطرة بسهولة نسبية على مفاصل رئيسة في العاصمة بما في ذلك البرلمان، والبنك المركزي، وديوان مجلس الوزراء، ومقرّ القيادة العامة للقوّات المسلحة. وتمكّن الحوثيون أيضاً من اقتحام قيادة الفرقة الأولى مدرع التي كان يقودها اللواء علي محسن الأحمر، خصم الحوثيين الأبرز، وقاموا بجمع ما غنموه فيها وفي غيرها من المواقع بما فيها الحماية الرئاسية، والقيادة العامة للقوّات المسلحة، من دبابات ومدافع وعربات مدرّعة وأسلحة خفيفة. وشرعوا في إرسالها إلى معاقلهم شمال العاصمة. أعقب ذلك مهاجمة عدة منازل تابعة لأولاد الشيخ عبد الله الأحمر الذين يمثّلون زعامة حزب الإصلاح اليمني، وتدميرها، في إشارة رمزية تعني في اليمن هزيمة الخصم وإخضاعه.

انتزاع صنعاء أم شروط اتفاق أفضل؟

من المفارقات أنّ سقوط صنعاء بيد الحوثيين صادف الذكرى الثانية والخمسين لثورة 26 أيلول / سبتمبر 1962 التي أطاحت بنظام الإمامة وإعلان قيام الجمهورية اليمنية. والمعروف أنّ جماعة الحوثي تحاول احتكار تمثيل أتباع المذهب الزيدي في اليمن، وينظر إلى زعيمها عبد الملك الحوثي على أنّ له صفةً دينيةً فضلاً عن الصفة السياسية. وقد دعت الجماعة مؤيديها إلى الاحتفال بالسيطرة على صنعاء بإطلاق الألعاب النارية، قبل أن يظهر زعيمها على التلفزيون مساء يوم 23 أيلول / سبتمبر، ويتحدّث عن الانتصار التاريخي.

وتذهب بعض التقديرات إلى أنّ هدف الحوثيين كان منذ البداية الاستيلاء على صنعاء؛ لما لها من رمزية سياسية بوصفها عاصمة البلاد، وأنّ سقوطها يعني سقوط الدولة التي حلّت محلّ دولة الإمامة. لذلك اتّخذت المفاوضات التي كانت تجري تحت إشراف مستشار الأمين العام للأمم المتحدة ومبعوثه إلى اليمن، غطاءً للتقدّم على الأرض، ومن ثمّ الاستيلاء على العاصمة. ويدعم أصحاب هذا الرأي وجهة نظرهم برفض الحوثيين الخروج من صنعاء بعد أن قاموا بتصفية خصومهم من آل الأحمر وحزب الإصلاح، ورفضهم

توقيع الملحق الأمني للاتفاق الذي سُمي "اتفاق السلم والشراكة الوطنية"، والذي يتضمن خطوات إجرائية تكفل انسحاب الجماعة من العاصمة، فضلاً عن مناطق عمران شمال صنعاء، وتطبيع الأوضاع فيها، ووضع آلية بمشاركة الأمم المتحدة وكل الأطراف لنزع الأسلحة الثقيلة من الأفراد والجماعات، بما فيها جماعة الحوثي، وبما يكفل استعادة هيبة الدولة واحتكارها ملكية السلاح والسيادة على أراضيها.

في المقابل، ذهب آخرون إلى أنّ هدف الحوثيين من السيطرة على صنعاء هو تعزيز مواقعهم لانتزاع اتفاق أفضل وحصّة أكبر من السلطة ممّا قدّمته لهم مخرجات الحوار الوطني الذي جرى توقيعه في وقت سابق من هذا العام؛ فقد تضمّنت وثيقة الاتفاق الأخير تشكيل حكومة كفاءات في غضون شهر، وتعيين مستشارين للرئيس عبد ربه منصور هادي من الحوثيين و"الحراك الجنوبي"، يتشاور معهم في شأن اختيار أعضاء الحكومة المقبلة، على أن يترك للرئيس اختيار الحفائب السيادية (الدفاع، والداخلية، والخارجية، والمال). ونصّ الاتفاق أيضاً على خفض إضافي لأسعار الوقود، وتنفيذ الحكومة المقبلة إصلاحات اقتصادية، وإعادة النظر في تشكيل الهيئة الوطنية للإشراف على مخرجات الحوار الوطني. وجميع هذه البنود هي مكتسبات حقّها الحوثيون من خلال التفاوض تحت القصف.

لماذا سقطت صنعاء؟ وكيف؟

بغضّ النظر عمّا كان يسعى إليه الحوثيون، فقد مثّل سقوط صنعاء السريع صدمةً للكثيرين؛ فبعد أربعة أيام فقط من القتال بين قوّات يقودها اللواء علي محسن الأحمر، مدعومة بمسلّحين من حزب "الإصلاح" وبين أنصار الجماعة، بعد تحييد الجيش اليمني عن المواجهة، تمكّن الحوثيون من اجتياح الأحياء الشمالية الغربية والشمالية في العاصمة، وسيطروا على مقرّ التلفزيون والمطار، قبل أن يتّجهوا جنوباً ليسيّطروا على مقرّ "الفرقة الأولى المدرّعة" والقيادة العامة للقوات المسلّحة، ويحسموا المعركة لفائدتهم.

يشير سقوط العاصمة السريع إلى تواطؤ بعض القيادات العسكرية التي ما زالت تدين بالولاء للرئيس السابق علي عبد الله صالح؛ إذ كيف يمكن لمليشيات مسلّحة بأسلحة خفيفة ومتوسطة أن تواجه قطاعات عسكرية مزوّدة بأسلحة ثقيلة مكلفة بتأمين مؤسسات الدولة وحمايتها، لولا امتناع الجيش عن مواجهتها؟! لكنّ ثمة أسباباً وعوامل أخرى أيضاً ساهمت في تمكين الحوثيين من تحقيق نصرٍ سريعٍ في صنعاء، أهمّها:

- ضعف حكومة محمد سالم باسندوة، وعدم تماسكها وتوزع الولاءات السياسية لأعضائها. وسعي المحيط الخليجي إلى إضعافها بعدم مدّ يد العون لها اقتصادياً وعسكرياً.
 - ضعف الرئيس هادي أمام الفرقاء السياسيين وعدم قدرته على الاستناد إلى قوّة عسكرية مضمونة الولاء له لتنفيذ قراراته.
 - غياب التماسك وتعدّد الولاءات في القوآت المسلّحة اليمنية وانحياز بعض قياداتها إلى جماعة الحوثي ليس لأسباب مذهبية بل بسبب تضرّر مصالح بعضها، وعدم رضا بعضها الآخر عن عملية إعادة هيكلة القوآت المسلّحة والحرس الجمهوري السابق، بعد رحيل علي عبد الله صالح عن السلطة.
 - تردّي الأوضاع الاقتصادية والمعيشية، وارتفاع نسبة البطالة والفقر لأغلب شرائح المجتمع اليمني، ما ولّد حالة عامة سائدة لا تتعاطف مع النظام السياسي الحالي، لا سيّما أنّ الحوثي اتّخذ من قضايا مطلبيّة ومعيشية غطاءً لتحركه ضدّ الدولة.
- هذه العوامل مجتمعة، والتي نتج منها وبتأثيرها حالة سيولة سياسية وأمنيّة أتاحت للحوثيين الفرصة السانحة للسيطرة على العاصمة، ومن ثمّ فرض شروطهم التي مثلها اتفاق السلم والشراكة الوطنية الأخير، والذي يُعدّ بحقّ اتفاق فرض الأمر الواقع.

بذور فشل الاتفاق كامنة فيه

لا يمثّل الاتفاق الأخير، بخاصة بعد أن رفض الحوثيون توقيع ملحقه الأمني الذي يلزمهم الانسحاب من صنعاء وضواحيها وتسليم السلاح إلى الدولة، حلاً جذرياً شاملاً للأزمة اليمنية يضمن عدم تكرار الدخول في مواجهات مسلّحة بين مختلف الأطراف، لا بل قام الحوثيون بتكديس مزيد من هذه الأسلحة بعد أن نهبوا معسكرات الجيش اليمني التي سقطت في أيديهم ونتيجة لذلك سيجدون أنفسهم في ميل دائم نحو استخدام القوّة، كلّما شعروا بأنّ الفرصة مواتية لتحقيق المزيد من مطالبهم. لذلك نجد أنّ عوامل انهيار الاتفاق الأخير كامنة في ثناياه، وتنامي الاحتقان السياسي والمجتمعي الناجم عن قيام الحوثيين باحتلال صنعاء والتنكيل بوجوه أبرز قبائلها (حاشد التي ينتمي إليها آل الأحمر) يجعل من الصعب تصوّر أن يمثّل هذا الاتفاق صيغةً للاستقرار، بخاصة مع تزايد الاستقطاب المذهبي وتقاطعته مع الانقسامات القبلية القائمة أصلاً.

ومع تزايد المؤشرات على ارتباط حركة الحوثي بالدعم الإيراني، وولائها لإيران في عموم الصراع الإقليمي الجاري في المنطقة، يزداد إدراك القوى والأحزاب اليمنية عمومًا في تحوّل الحركة إلى عامل اختراق للأمن الوطني اليمني. وقد عبّر الرئيس هادي عن هذه المخاوف صراحةً في الأونة الأخيرة عندما قال إنّ طهران تريد أن تقايض صنعاء بدمشق. في حين جاءت تصريحات نائب طهران في البرلمان الإيراني علي رضا زاكاني، بأنّ العاصمة اليمنية صنعاء أصبحت العاصمة العربية الرابعة التي تسقط بيد إيران بعد كلّ من بيروت ودمشق وبغداد، في إشارةٍ إلى استيلاء الحوثيين عليها، مستفزةً الكثيرين في اليمن وخارجها.

في هذا السياق الإقليمي الضاغط، ومع تنامي العطب البنوي في مؤسسات الدولة (المدنية، والعسكرية، والأمنية)، تصبح الدولة اليمنية الطرف الأضعف المضطرّ إلى تقديم المزيد من التنازلات التي سيرتفع سقفها في كلّ مرة حتى تصبح الدولة وأجهزتها أداةً في يد جماعة الحوثي في تكرارٍ لتجربة حزب الله في لبنان. وقد أمّن الاتفاق الأخير للحوثي وجود مستشارين لهم قدرة تأثير واسعة حول الرئيس اليمني الذي يتعيّن عليه وفقًا لما نصّ عليه الاتفاق، الأخذ برأيهم في تعيين أيّ من الوزراء في الحكومة باستثناء الحقائق السياسية.

يبقى القول إنّ الطرف الذي شارك في إدارة الأزمة خفيةً (الرئيس السابق علي عبد الله صالح) انطلق من عوامل تكتيكية ذات طابع أنيّ وانتقامي من القوى التي ساهمت في إزاحته عام 2011، كما هي الحال مع حلفائه الخليجيين الذين اتّبعا سياسة قصيرة النظر ومن دون بوصلة إستراتيجية، مدفوعة أساسًا برغبتهم في التخلّص من حزب الإصلاح اليمني، فتواطأوا، أو على الأقلّ صمتوا عن تحرك الحوثيين ضدّ صنعاء معتقدين أنّها مواجهة مع من يعدّونهم خصومهم، علمًا أنّ تجربة اللقاء المشترك تتجاوز الإصلاح وتمثّل تجربة يمنية مميزة في التعاون بين تيارات أيديولوجية متنوّعة، وقبائل مختلفة. ولن يلبث هؤلاء أن يكتشفوا أنّهم صنعوا، أو شاركوا في صنع، تهديد أشدّ خطورةً من التهديدات التي تصوّروا أنّهم يتخلصون منها. وعندها قد يكون هذا الإدراك متأخرًا.